الملاحظات

أنزل "لوح الإشراقات" موجهاً إلى جليل الخوئي، وهو صفّار عاش في مقاطعة آذربيجان وكان مؤمناً معروفاً. كان اللوح جواباً عن أسئلة منه، وبالخصوص ما يتعلق بموضوع العصمة الكبرى. ونتيجة للامتياز الذي لا يُثمّن والذي ناله بتشرفه بلقاء حضرة بهاءالله فقد حظي بمواهب وألطاف عديدة.

لكن جليل حرم نفسه من كل البركات التي هطلت عليه، وهلك روحياً. بعد صعود حضرة بهاءالله، نقض العهد وانضم إلى محمد علي الناقض الأكبر لعهد حضرة بهاءالله. وكان قد خضع لتأثير جمال البروجردي، الذي كان من أبرز الناقضين في إيران وكان يطمح لأن يصبح زعيماً بلا منازع للطائفة في تلك البلاد. سبق أن عرضنا وصفاً موجزاً لسيرته الشائنة، وسقوطه السريع ثم اندثاره في نهاية المطاف. فبعد صعود حضرة بهاءالله بأربع سنوات تقريباً ذهب جمال إلى آذربيجان، وعيّن جليل وكيلاً عنه هناك وأوصاه بالاتصال سراً بالمؤمنين وبذْر سموم النقض بينهم. ومما شجع جليل أكثر في موقفه، وصول سلسلة من رسائل محمد علي إلى آذربيجان ضد مركز العهد.

في أثناء ذلك بعث المولى (حضرة عبدالبهاء) بابن الأبهر، أحد أيادي أمر الله، إلى تلك المقاطعة ليشد من أزر المؤمنين في الاستقامة على العهد. وقد فشل جليل

في تحقيق مسعاه الهدام بدرجة ملحوظة حيث ثبت مؤمنو آذربيجان والتفوا حول حضرة عبدالبهاء مدافعين عن أمر الله دفاعاً بطولياً ضد هجوم الخائنين.

في سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٧-١٨٩٨م) أرسل حضرة عبدالبهاء لوحاً مطولاً، عُرف باسم "لوح الألف بيت"، إلى جليل. في هذا اللوح الشهير يغمره بكثير من اللطف والعناية، ويحضه على الوفاء لأمر الله، ويسهب في تبيان مصداقية عهد حضرة بهاءالله وميثاقه، مدعماً حجته ببراهين مقنعة مما يجعل مضمون هذا اللوح واحداً من أهم المراجع الكشفية في موضوع العهد عموماً. ... ونظراً للوضع المضطرب الخطير الذي كان يسود الأرض الأقدس، واحتراساً من تأجيج نار أضرمها ناقضو العهد والميثاق، والتي كانت تهدد جامعة الأحباء بأسرها، فقد بعث المولى أحد خادمي أمر الله الموثوقين، ميرزا محمود الزرقاني، إلى تبريز، عاصمة مقاطعة آذربيجان، موصياً إيّاه بأن يتلو اللوح كاملاً بصوت عال على مسامع جليل ولكن دون تزويده بنسخة منه. استمع جليل لمضمون اللوح الوافي، لكن شهوة الرئاسة، للأسف، أعمت عينيه وأصمّت أذنيه. فيما بعد شهد خيبة مساعيه وخسرانه ثم توفي ذليلاً.

يحتوي "لوح الإشراقات"، النازل من قلم حضرة بهاءالله في حقه، بعض خيرة ثمار وحيه. ففي أواخر اللوح يعدد حضرة بهاءالله بعض تعاليمه الأساسية ومبادئه تحت تسعة عناوين، سمى كلاً منها "إشراقاً". إن الفقرات القليلة الأولى نزلت بلغة الرمز والسرّ، ويعتمد فهمها وكشفها جزئياً على فهم عميق بالمصطلحات الإسلامية الفقهية واللغة العربية، وجزئياً على المعاني الباطنية لكلمات حضرة بهاءالله. لهذه الأسباب

واحترازاً لئلا ننزلق في تفسيرات غير موثقة للكتابات المباركة، فإننا نمتنع عن بحثها. إلاّ أن هناك لوحاً من قلم حضرة عبدالبهاء (باللغة الفارسية) قد يعين القارئ على تقدير أهمية بعض بيانات حضرة بهاءالله.

خطاب حضرة بهاءالله لأهل البيان

في "لوح الإشراقات" يشير حضرة بهاءالله إلى حضرة الباب بـ"النقطة" و"المنادي باسمه والمبشر بظهوره الأعظم"، ويؤكد بأن الله قد جعله "**بحر النور للمخلصين من عباده وكرة النار للمعرضين من خلقه.**"

إن مجيء كل مظهر إلهي يخلق الوضع نفسه حيث يفرق بظهوره بين فئتي المؤمنين والمنكرين، وهذا مشابه لإجراء الامتحانات المدرسية. فعند دخول التلاميذ قاعة الامتحانات لا يمكن تمييز الفرق بينهم، لكن عند خروجهم يكون التمييز قد بدأ فعلاً، فمنهم الذي اجتاز ومنهم من فشل. بالكيفية نفسها يكون ظهور مظهر أمر الله بمثابة بشير ونذير بافتتان وامتحان عالمي. فقبيل مجيئه يكون الناس عموماً في مستوى واحد، لكن حالما يكشف عن هويته ويعلنها يجد بعض الناس أنهم ارتفعوا مقاماً بإيمانهم بأمره بينما بقي الآخرون خلفهم.

عندما ظهر حضرة الباب أعلن بشارة قرب مجيء "من يظهره الله"، أي حضرة بهاءالله. فأعدّ أتباعه وهيأهم لظهوره جاعلاً منهم خلقاً جديداً مستحقاً للاعتراف بمظهر أمر الله الأعظم. لكن حينما أظهر حضرة بهاءالله نفسه لعموم البشر ولملأ البيان خاصة، حان وقت امتحان عالمي لإيمان الناس من جديد. وعندما كشف حضرة بهاءالله عن مقامه حدث الفصل بين الطائفة البابية حيث اعتنق أغلبهم أمره في حين حرمت أقلية منهم نفسها من الدخول في ظله. وبهذا صار ظهور حضرة بهاءالله سبباً ومصدراً للنعيم والبركة لبعض الناس وللذين حرموا أنفسهم، وهدة الشقاء والبعد. وتأكيداً لهذه العملية يصرح حضرة بهاءالله في "لوح الإشراقات" بقوله:

"هذا يوم جعله الله نعمة للأبرار ونقمة للأشرار ورحمة للمقبلين وغضباً للمنكرين والمعرضين. إنه ظهر بسلطان من عنده وأنزل ما لا يعادله شيء في أرضه وسمائه."

في هذا اللوح يؤنب حضرة بهاءالله أهل البيان، أي أتباع حضرة الباب، على ضلالهم وعماهم اللذين منعاهم عن الاعتراف بظهوره الأعظم. لكنه بالوقت نفسه ينصحهم بأن يدعوا الظنون والأوهام ويتوجهوا إليه بقلوب نقية طاهرة. هذه بعض كلماته مخاطباً إيّاهم:

"اتقوا الله دعوا الظنون لمظاهرها والأوهام لمطالعها والشكوك لمشارقها. ثم أقبلوا بوجوه نوراء وصدور بيضاء إلى أفق أشرقت منه شمس الإيقان أمراً من لدى الله مالك الأديان."

في سياق نصائحه يشير حضرة بهاءالله إلى ما عاناه خلال حبسه، مرتين في أرض الطاء (طهران) ومرة في أرض الميم (مازندران). كان أول حبس لحضرة بهاءالله في طهران بعد إعلان حضرة الباب دعوته بأربع سنوات تقريباً. والحبس الثاني، الذي تعرض فيه للضرب على قدميه، كان بعد ذلك ببضعة أشهر في آمُل من إقليم مازندران. أمّا ثالث حبس وأشدهم جميعاً فكان في سياه چال بطهران[٢] في شهر آب سنة ١٨٥٢م.

معنى "العصمة"

كان جليل، الذي أنزل حضرة بهاءالله "لوح الإشراقات" في حقه، قد سأل حضرته عن معنى "العصمة الكبرى". فأنزل في سياق جوابه هذه الكلمات الشاحذة للفكر:

"... في ذكر العصمة الكبرى والآية العظمى التي سألتها عن المظلوم ليكشف لك قناعها وغطاءها ويذكر سرها وأمرها ومقامها ومقرها وشأنها وعلوها

وسموها. لعمر الله لو نظهر لئاليء البرهان المكنونة في أصداف بحر العلم والإيقان ونخرج طلعات المعاني المستورة في غرفات البيان في جنة العرفان لترتفع ضوضاء العلماء من كل الجهات وترى حزب الله بين أنياب الذئاب الذين كفروا بالله في المبدأ والمآب... إن لطيور ممالك ملكوتي وحمامات رياض حكمتي تغردات ونغمات ما اطلع عليها إلاّ الله مالك الملك والجبروت. ولو يظهر أقل من سم الإبرة ليقول الظالمون ما لا قاله الأولون ويرتكبون ما لا ارتكبه أحد في الأعصار والقرون."

يبين حضرة بهاءالله في هذا اللوح بعض جوانب العصمة ويميز بين "العصمة الموهوبة" و"العصمة الكبرى". فالأولى تستمد سلطتها من الأخرى. ... بأن حضرة بهاءالله يمتلك العصمة الكبرى، بينما أنعم بالعصمة على كل من حضرة عبدالبهاء وحضرة شوقي أفندي وبيت العدل الأعظم. وهذه كلماته في "لوح الإشراقات":

"فاعلم للعصمة معان شتى ومقامات شتى. إن الذي عصمه الله من الزلل يصدق عليه هذا الاسم في مقام وكذلك من عصمه الله من الخطأ والعصيان ومن الإعراض والكفر ومن الشرك وأمثالها يطلق على كل واحد من هؤلاء اسم العصمة. وأمّا العصمة الكبرى لمن كان مقامه مقدساً عن الأوامر والنواهي ومنزهاً عن الخطأ والنسيان. إنه نور لا تعقبه الظلمة وصواب لا يعتريه الخطأ. لو

يحكم على الماء حكم الخمر وعلى السماء حكم الأرض وعلى النور حكم النار حق لا ريب فيه وليس لأحد أن يعترض عليه أو يقول لِمَ وبِمَ."

في كثير من ألواحه يدلي حضرة بهاءالله بتصريحات مشابهة لتلك التي في هذا اللوح، فيذكر أنه لو أطلق القلم بتبيان بواطن معاني كلماته، أو كشف علوّ مقام شخصه أو عظمة ظهوره، فإن الذين حرموا من الفهم الحقيقي سيصابون بالصدمة والغضب بحيث يقومون بالمعارضة الشديدة لأمره وأحبائه. ذلك لأن زعماء الدين المسلمين، وكذلك بعض أتباع حضرة الباب الذين لم يوهبوا الفهم الحقيقي، كانوا يتذرعون ببعض عبارات حضرته، التي تشير إلى عظمة أمره، من أجل إدانته أو تشويه حقيقته. في وقت لاحق، انضم إلى أولئك آخرون في كل من الشرق والغرب، مستهدفين معارضة أمره من خلال تحريف كتاباته. فهناك عدد لا يحصى من الفقرات في كتاباته التي تمجد طبيعة ظهوره السامية. فجسامة ادعاءاته تذهل المؤمنين من أتباعه وتؤجج خصومة أعدائه. من الواضح بشكل متزايد أن السواد الأعظم من البشر يبتعدون عن مفهوم الروحانية والحقيقة الدينية. إضافة لهذا فإن قدرة الإنسان الفكرية لفهم الله ومظاهر أمره محدودة. وهناك أيضاً حواجز أخرى في طريقه مثل التحيز والتحامل بجميع أنواعه والأوهام والخرافات وغيرها الكثير. فإنه ليس من المستغرب، إذاً، أن حضرة بهاءالله، الذي ظهر في مجتمع فقير في الإدراك الروحي، يضطر لإيقاف قلمه عن كشف الطبيعة العليا لقدرة الله وعظمته التي وهبت له. في الواقع، إن عدم جدارة

الإنسان هو الذي دفع حضرة بهاءالله، أيام إقامته في العراق، أن يأمر كاتب وحيه بإتلاف جزء كبير من ألواحه المكتوبة بخط يده وذلك بقذفها في النهر أثناء فترة نفيه في العراق.

يروي ميرزا أبو الفضل، العلاّمة البهائي العظيم، حادثة مثيرة للاهتمام وقعت أثناء إقامته في القاهرة، وهي الحادثة التي تلقي مزيداً من الضوء على الموضوع المذكور أعلاه. برز ميرزا أبو الفضل في أوساط القاهرة العلمية والثقافية كمرجع وحجة عليا في تاريخ الأديان وتعاليمها، فكان يقصده الكثير من الأساتذة وتلامذة جامعة الأزهر، إلى جانب العديد من رجال الدين والثقافة، ويزدحمون جالسين عند قدميه ابتغاء ما يمكن أن ينالوه من معرفته الواسعة وبصيرته في الأمور الروحية. وهذه هي القصة كما يرويها بنفسه:

'عندما نشر رؤساء الجمعية البروتستانتية كتاب **"مقالة في الإسلام"** اقترح بعض كبار العلماء (المسلمين) في هذه الديار، من بينهم الفاضل الجليل **الشيخ محمد بدر الدين الغزّي**... وغيره **من أهل العلم والفضل**، اقترحوا على هذا العبد أن من اللائق أن يقوم، نظراً لسعة إطلاعه بحقائق الكتب المقدسة والأديان السابقة والذي أنعم به عليه الحق جلّ جلاله... أن يقوم بتحرير رد كافٍ وافٍ على المقالة المذكورة لكشف مغالطاتها وتحريفاتها التاريخية لئلا يضل ضعفاء الناس بما ورد فيها من أخطاء، ويجد الشك إلى عقولهم سبيلاً.

فقلت: **عفوا أيها السادة، لأ**ن هناك صعوبات يتعذر جداً التغلب عليها في هذا السبيل. فقد اعتادت آذان المسلمين لسنوات كثيرة وقرون عديدة على سماع زخرف القول وتشبّعت ألبابهم بسطحيات المفهوم الظاهري (لكلام الله). والآن لو يُكشف الغطاء عن الحقائق القرآنية، وبذلك تفنّد كل اعتراضات أرباب الشبهات (وهي التي نحن بصددها في هذا المقال)، فإن هؤلاء الناس أنفسهم من المتسمين بالإسلام اسماً فقط سيقومون على الإعراض وإثارة البغضاء والعداء. بل إنهم سيقنعون ويرضون برؤية هذه الاعتراضات والمآخذ التي يروجها هؤلاء (المبشرون) دون تبرئة القرآن منها، بل إبقائها إلى الأبد. بل إنهم قد يرضون أن يروا راية الإسلام تداس من قبل الضالين على أن يسمحوا لفيوضات القلم الأعلى (حضرة بهاءالله) أن يخرج حور المعاني الحقيقية من قصور الآيات... عسى أن تُرّد الاعتراضات وتبدد سحب الانتقادات الكثيفة وتنقشع.'

هذه الحجة التي طرحها ميرزا أبو الفضل بشأن الإسلام صالحة للأديان الأخرى أيضاً. على سبيل المثال، المسيحية كما تمارس اليوم بعيدة كل البعد عن تعاليم السيد المسيح النقية بحيث لو أمكن لمؤسسها العودة بنفسه، لن يكون قادراً على التوفيق بين دينه وبين كل ما صنعه الإنسان من العقائد والطقوس والكثير من الكنائس المنقسمة. وقد شرح حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء في كتاباتهما واقع السيد المسيح، وحقيقة رسالته والمعنى الحقيقي للكلمات الواردة في الأناجيل. لكن إذا ما عرضنا صورة المسيحية كما عرضها حضرة بهاءالله في "كتاب الإيقان"، أو تناولنا

بعض الموضوعات المسيحية كما وردت في شروحات حضرة عبدالبهاء في كتاب "مفاوضات عبدالبهاء" فإننا سوف نقابل بلا شك بمعارضة قوية من قبل كثير من المسيحيين اليوم. في الواقع إنه لأصعب كثيراً شرح حقيقة المسيحية لشخص مسيحي متمسك بدينه من أن نفعل ذلك مع شخص محايد من خلفية مختلفة. لقد وضع أتباع الأديان أنفسهم في وضع خطير حقاً. فبضلالهم عن الطريق الصحيح الذي أتاهم به مظاهر أمر الله، منعوا أنفسهم من القدرة على الاعتراف بأحقية ظهور حضرة بهاءالله. وبشأن قوم كهؤلاء أنزل القلم الأعلى هذه الكلمات اليائسة في "لوح الإشراقات":

"قد أنكروا فضل الله وبرهانه وحجة الله وآياته. ضلوا وأضلوا الناس ولا يشعرون. يعبدون الأوهام ولا يعرفون. قد اتخذوا الظنون لأنفسهم أرباباً من دون الله ولا يفقهون. نبذوا البحر الأعظم مسرعين إلى الغدير ولا يعلمون. يتبعون أهواءهم معرضين عن الله المهيمن القيوم."

نبوءات تحققت

في "لوح الإشراقات" يقتبس حضرة بهاءالله من لوح نزل سابقاً يعدد فيه بعض النبوءات الإسلامية بشأن مجيء يوم الله. فيستخدم أسلوب حوار بين صوت الحق

والذين جردوا من الفهم الحقيقي وأنكروا أمره. هناك العديد من الفقرات كهذه في هذا اللوح:

"هل الآيات نُزّلت قل إي ورب السموات... وقال هل الطامة تمت قل إي ورب الأرباب. وهل القيامة قامت بل القيوم بملكوت الآيات. هل ترى الناس صرعى بلى وربي العلي الأبهى. هل انقعرت الأعجاز بل نسفت الجبال ومالك الصفات. قال أين الجنة والنار قل الأولى لقائي والأخرى نفسك يا أيها المشرك المرتاب. قال إنا ما نرى الميزان قل إي وربي الرحمن لا يراه إلاّ أولو الأبصار. قال هل سقطت النجوم قل إي إذ كان القيوم في أرض السر فاعتبروا يا أولي الأنظار!"

إن سقوط النجوم إشارة إلى نبوءة معروفة في الإنجيل متعلقة برجعة السيد المسيح، وأرض السر تسمية حضرة بهاءالله لمدينة أدرنة. في مجلد سابق[1] ورد بحث تساقط النجوم ودلالته.

من أجل تقييم المعاني الباطنة للنبوءات المقتبسة في هذا اللوح بشأن مجيء الرب، يحتاج المرء لدراسة "كتاب الإيقان". هذا الكتاب الذي شرح فيه معنى الأسرار المكنونة في الكتب السماوية للأديان السابقة، وكشف أهمية النبوءات الواردة فيها. فقبل نزول "كتاب الإيقان" كان غرض الكلمات ومعناها مخفياً، وبمجيء حضرة بهاءالله تحققت نبوءة دانيال بشأن "وقت النهاية":

"وأنا سمعت وما فهمت. فقلت يا سيدي ما آخر هذه. فقال اذهب يا دانيال لأن الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية."

لقد فض "كتاب الإيقان" أختام الكتب السماوية الماضية. وكما تستنير العين بالرؤية مع إشراق شمس الصباح، فإنه –"كتاب الإيقان"- أنار العقول والأفئدة بضياء العرفان والفهم، ومنذ ذلك الحين استطاع العديد من الباحثين والمبلّغين البهائيين كتابة مجلدات في تفسير نبوءات الأنبياء السابقين.

الدين، نور مبين

نجد تحت العناوين التسعة في "لوح الإشراقات" أن حضرة بهاءالله يوضح بعض تعاليمه المنزلة خصيصاً "لأمراء الأرض ووزرائها"، تعاليم تهدف إلى "ما يضمن الحفظ والحراسة والأمن والأمان للعباد". في "الإشراق الأول" يعلّق أهمية كبرى على الدين بوصفه "النور المبين والحصن المتين لحفظ أهل العالم وراحتهم". ثم يتنبأ زيادة على ذلك قائلاً: "فلو احتجب سراج الدين لتطرق الهرج والمرج وامتنع نير العدل والإنصاف عن الإشراق وشمس الأمن والاطمئنان عن الإنوار". وهذا ما يحدث بالفعل.

والمبدأ الأساسي الذي ينطبق على جميع الأديان هو أن هناك علاقة خاصة بين دين والدين الذي يعقبه مباشرة. فحينما يأتي مظهر إلهي تكون روح الإيمان قد انطفأت في الدين السابق، ونفخت في الوقت نفسه في الدين الجديد. على سبيل المثال، مع مجيء حضرة المسيح كان الدين اليهودي قد فقد نشاطه وحيويته، وهذه غُرست في الدين المسيحي. ورد في القرآن الكريم ما يلي:

"ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون."

هذا يعني أن لكل دورة رسولية بداية ونهاية، وعند ظهور الدورة البهائية التي ابتدأها حضرة الباب، كانت جميع الأديان الرئيسة في العالم قد فقدت قدراً عظيماً من قوتها الروحية. فالنفوذ الذي كانت تمارسه وتستجيب له أفئدة الناس كان يقل ويتلاشى مع مرور كل يوم. ومن العوامل المساهمة في هذه العملية، عجز القادة الدينيين عن التمسك بالحقائق الأساسية المنصوص عليها في كل دين. فبدلاً من فهم جوهر دينهم، وتوضيح الحقائق العقائدية لأتباعهم، قاموا، بسبب جهلهم، بعرض العديد من المعتقدات والتفاسير التي وضعها الإنسان بحيث حجبت نور الدين الحقيقي. وبالتالي فإن كثيراً من الناس الأذكياء الصادقين تخلوا عن الدين نهائياً وانضموا إلى صفوف اللاأدريين والملحدين. فلا أحد يمكنه أن يلوم شخصاً وُهِب الحس السليم، الذي يرفض إدعاء بعض الزعماء الدينيين بأن جسد السيد المسيح ارتفع في الفضاء، أو أن النجوم ستتساقط يوماً ما على الأرض!

ومنذ مجيء حضرة بهاءالله فقط، ومن خلال كتاباته، صارت الفقرات الغامضة في الكتب المقدسة للأديان السابقة واضحة في شرحها وتفسيرها بحيث لم تبق منها عبارة واحدة تبدو مناقضة للمنطق والحس السليم. في الواقع، إن أحد تعاليم حضرة بهاءالله يؤكد أن الحقيقة الدينية والنظريات العلمية يجب أن يكونا في وئام. لكن للأسف فإن الفجوة بين الدين والعلم قد اتسعت بسبب عجز الزعماء الدينيين عن فهم التعاليم الدينية الحقيقية. واليوم صارت كلمة "الدين" ترتبط عموماً بالجهل وضيق الأفق والأوهام من جانب عدد كبير من الناس المستنيرين. من ناحية أخرى، جعل بعض الناس من الدين سخرية عن طريق خلق الطوائف التي أثبتت أنها ليست إلاّ أوكاراً للفساد والتربح. إن قدسية العديد من الأعمال الدينية، والتي كانت الدعامة الأساسية للمجتمعات المحلية في الأزمنة القديمة، قد باتت الآن إمّا مهملة تماماً أو تالفة، وتتحول على وجه السرعة إلى أنشطة سياسية أو تجارية. ولهذا السبب يتعين على أتباع حضرة بهاءالله أن يوضّحوا للناس، أثناء مجهوداتهم لتعريف الدين البهائي للعموم، بأن كلمة "الديانة" بمفهومها الشائع بين الناس لا تنطبق على الدين البهائي، فهو دين بهيئته النقية متحرر من الفساد أو الغش. وهذه إحدى الملامح المميزة لدين حضرة بهاءالله.

وبتلاشي نور الدين في هذا اليوم، تكون نبوءة حضرة بهاءالله في "الإشراق" الأول قد تحققت. فالهرج والمرج قد وقعا فعلاً، وامتنع نير العدل والإنصاف والأمن والإطمئنان عن الإشراق. وسوف تستمر هذه العملية وتزداد ظلمة آفاق العالم شدة

حتى تتحق تحذيرات حضرة بهاءالله التي صدرت منذ أكثر من مائة عام مضت. لقد اقتبسنا هذه الفقرة من قبل:

إن العالم متقلب ويزداد تقلبه **يوماً فيوماً** ويتوجّه بوجهه إلى الغفلة والإلحاد، وهذا الأمر سيزداد شدة بحيث لا يقتضي ذكره. ويستمر الحال على هذا النهج لأيام طويلة. **وإذا تمّ الميقات يظهر بغتة ما يرتعد به فرائص العالم إذاً ترتفع الأعلام وتغرد العنادل على الأفنان**...

تؤذن كلمات حضرة بهاءالله هذه بأن معاناة كبيرة تنتظر البشرية. من المهم هنا أن ندرك بأن حدوث هذه المعاناة ليس من قبيل الانتقام الإلهي، بل على العكس من ذلك، فهي كلها من صنع الإنسان والنتائج المترتبة على أعماله، ذلك لأن الله قد خلق الإنسان على صورته، مما يعني أنه أسبغ عليه صفاته، ومنحه أيضاً الإرادة الحرة، ووضع القوانين التي تحكم العلاقة بين كل الأشياء –السبب والنتيجة، الفعل ورد الفعل، الثواب والعقاب. هذه القوانين هي جزء من خلق الله، فحيثما يعيش الناس ويعملون متحدين، تكون النتيجة هي السلام والوئام، وحيثما يتجاهلون هذا المبدأ الأساسي وتقوم مجموعات من الناس ضد بعضها البعض، فالنتيجة هي الدمار والمعاناة. فلا يسرّ الله أن تموت الملايين في الحروب أو تهلك بالمجاعات. وكل هذه

الأحداث المأساوية هي نتاج عصيان الإنسان لأحكام الله وتعاليمه التي أنزلت في هذا العصر.

وقد أكد حضرة بهاءالله في كثير من ألواحه بأن جزءاً كبيراً من المعاناة البشرية هي من صنع الإنسان. فيصرح في أحد الألواح بأن أهل العالم محاطون بالعقاب بما اكتسبوا بعملهم، وفي كل فترة يتخذ هذا الجزاء شكلاً مختلفاً. في لوح آخر يصرح حضرته بأن الله خلق كل الناس لعرفان ظهوره العظيم في هذا اليوم، لكن فشلهم في الاعتراف بأمره هو في حد ذاته جزاء لأعمالهم. إن الثواب والعقاب هما الدعامة الأساسية للمجتمع الإنساني، وهذه سُنة الخلق ولا يمكن تغييرها.

في لوح آخر يعلن حضرة بهاءالله:

"لمّا وجدنا الناس عبدة الظنون والأوهام من دون الله لذا اشتغلناهم بهم جزاء أعمالهم لعل يتنبهن بذلك خلق آخرين."

ويصرح في لوح آخر:

"... ولو كان لها [الدنيا] **عنده من قدر لم يؤتها على أعدائه قدر خردل ولكن اشتغالكم بها بما اكتسبت أيداكم في أمره وهذا عذاب لأنفسكم بأنفسكم على أنفسكم إن أنتم من الشاعرين. هل تفرحون بما أوتيتم بما لا قدر له عند الله وبه يمتحن عباده المتوهمين."**

ولكن الغاية الرئيسة من ظهور حضرة بهاءالله هي أن تعمر أفئدة الناس بقدر من محبة الله وتوهب لنفوسهم روح الإيمان. وفقط عندما يحدث ذلك على نطاق عالمي، فإن المعاناة والمصائب التي صنعها الإنسان ستزول ويحل محلها السلام والصلح الأعظم الدائم. وعندما تبلغ الإنسانية هذه المرحلة العليا والتي تنمحي فيها أسباب الاختلاف والفرقة فإن البلايا والمحن سوف تقتصر على تلك التي قدّرها الله لكل فرد. إن المعاناة التي تأتي من الله لا غنى عنها للتنمية الروحية لنفس الإنسان، في حين أن المصاعب التي صنعها الإنسان أصبحت اليوم لا تطاق، فإن البلايا المقدرة من الله لا تفرض على نفس إلاّ في حدود طاقتها.

عديدة هي النصائح من حضرة بهاءالله لأتباعه في "لوح الإشراقات" يحثهم على اتباع تعاليم الله وأحكامه. والفقرة التالية منه، والتي توجد أيضاً في "لوح البشارات"، توضح طبيعة سمو هذه النصائح:

"يا أهل البهاء كنتم ولا زلتم مشارق محبة الله ومطالع عنايته فلا تدنسوا ألسنتكم بسب أحد ولعنه وغضّوا أبصاركم عما لا يليق بها. أظهروا ما عندكم فإن قبل فالمقصود حاصل وإلاّ فالتعرض باطل. **ذروه بنفسه مقبلين إلى الله المهيمن القيوم**. ولاتكونوا سبباً لحزن أحد فضلاً عن الفساد والنزاع عسى أن تتربّوا في ظل سدرة العناية الإلهية وتعملوا بما أراده الله كلكم أوراق شجرة واحدة وقطرات بحر واحد."

في كل "إشراق" من "لوح الإشراقات" أنزل حضرة بهاءالله بعض نصائحه عظيمة الشأن للبشر بصفة عامة، ولأتباعه بصفة خاصة. فيفرض على البشرية جمعاء

إرساء الصلح الأصغر، ويحث أتباعه على العمل بما أراد الله، ويذكّرهم بأن نصرة أمر الله تتأتى من خلال "الأعمال والأخلاق المرضية"، ويوجّه وصايا خاصة لبيت العدل العمومي (الهيئة العليا التي سنّها حضرة بهاءالله وظهرت إلى حيز الوجود في عام ١٩٦٣م)، ويؤكد على أن "أمور الملة معلقة ومنوطة برجال بيت العدل"، وإحالة كل "الأمور السياسية" إليه، وينص أن يُعتبر هذا التوجيه جزءاً "من الكتاب الأقدس". وعلاوة على ذلك يؤكد أن العدل يقوم على "عمادين: المجازاة والمكافاة". و"يوصي الكل بتعليم الأطفال وتربيتهم"، معلناً بأن دين الله قد نزل "لمحض اتحاد أهل العالم واتفاقهم"، ويمنع أتباعه من جعل الدين "سبب الاختلاف والنفاق"، ويدعو إلى استعمال لغة عالمية مساعدة، ويوكل أمرها إلى أمناء بيت العدل إمّا "أن يختاروا لساناً من الألسن الموجودة أو يبتدعوا لساناً".

ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن حضرة بهاءالله أمر حكومات العالم في "لوح البشارات" باعتماد اللغة العالمية. ويمكن اعتبار هذين التصريحين، اللذين يبدوان متناقضين، على أنهما مرحلتان مختلفتان في عملية اعتماد اللغة العالمية المساعدة. ففي المرحلة الأولى سيتم تبني اللغة العالمية من قبل الحكومات، في حين أن المرحلة الثانية تؤجل إلى الوقت الذي يبرز فيه بيت العدل الأعظم كهيئة عليا لنظم حضرة بهاءالله العالمي ويُعترف بسلطته، عندئذ فقط يمكن أن تعيد النظر في اختيار اللغة إمّا بإبقاء ما اتفقت عليه الحكومات أو تغييرها كلياً.

في أحد ألواحه المنزلة في عكاء، يشدد حضرة بهاءالله على أهمية اعتماد لغة عالمية مساعدة كما نصّ عليها في "الكتاب الأقدس". ويذكر أن تنفيذ هذا الأمر سيوفر وسيلة للحفاظ على وحدة الجنس البشري، وسوف يسهل الاتصال والتفاهم بين شعوب العالم. وفي هذا اللوح نفسه يمتدح اللغة العربية مبرزاً ميزاتها وثراءها في التعبير والبلاغة، إذ ليس هناك لغة أخرى تضارعها بإمكاناتها الواسعة. ويذكر كذلك أن الله سيكون سعيداً إذا تكلمت كل شعوب العالم باللغة العربية، إلاّ أنه لا يفرض على الإنسانية اعتمادها لغة عالمية بالضرورة، بل يترك الخيار للمؤسسات المناسبة.

"كتاب ظهور حضرة بهاءالله، أديب طاهرزاده، المجلد ٤"